

التحرير والتنوير

(وما أبرئ نفسي إن النفس لأماره بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم [53])
ظاهر ترتيب الكلام أن هذا من كلام امرأة العزيز مضت في بقية إقرارها فقالت (وما أبرئ نفسي) . وذلك كلاحتراس مما يقتضيه قولها (ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب) من أن تبرئة نفسها من هذا الذنب العظيم ادعاء بأن نفسها بريئة براءة عامة فقالت (وما أبرئ نفسي) أي ما أبرئ نفسي من محاولة هذا الإثم لأن النفس أماره بالسوء وقد أمرتني بالسوء ولكنه لم يقع .

فالواو التي في الجملة استئنافية والجملة ابتدائية .

وجملة (إن النفس لأماره بالسوء) تعليل لجملة (وما أبرئ نفسي) . أي لا أدعي براءة نفسي من ارتكاب الذنب لأن النفوس كثيرة الأمر بالسوء .

والاستثناء في (إلا ما رحم ربي) استثناء من عموم الأزمان أي أزمان وقوع السوء بناء على أن أمر النفس به يبعث على ارتكابه في كل الأوقات إلا وقت رجمة الله عبده أي رحمته بأن يفيض له ما يصرفه عن فعل السوء أو يقيض حائر بينه وبين فعل السوء كما جعل إياية يوسف " عليه السلام " من أجابتها إلى ما دعته إليه حائلا بينها وبين التورط في هذا الإثم وذلك لطف من الله بهما .

ولذلك ذيلته بجملة (إن ربي غفور رحيم) ثناء على الله بأنه شديد المغفرة لمن أذنب وشديد الرحمة لعبده إذا أراد صرفه عن الذنب .

وهذا يقتضي أن قومها يؤمنون بالله ويحرمون الحرام وذلك لا ينافي أنهم كانوا مشركين فإن المشركين من العرب كانوا يؤمنون بالله أيضا . قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) وكانوا يعرفون البر والذنب .

وفي اعتراف امرأة العزيز بحضرة الملك عبرة بفضيلة الاعتراف بالحق وتبرئة البريء مما ألصق به ومن خشية عقاب الله الخائنين .

وقيل : هذا الكلام كلام يوسف " عليه السلام " متصل بقوله (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) الآية .

كيد يهدي لا الله وأن) " قوله إلى " (يوسف راودتن إذ خطبكن ما قال) وقوله A E الخائنين) اعتراض في خلال كلام يوسف " عليه السلام " . وبذلك فسرها مجاهد وقتادة وأبو صالح وابن جريج والحسن والضحاك والسدي وابن جبير واقتصر عليه الطبري . قال في الكشاف : " وكفى بالمعنى دليلا قائدا إلى أن يجعل من كلام يوسف " عليه السلام " . ونحوه قوله (قال

الملاً من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم) " ثم قال " (فماذا تأمرون) وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم اه . يريد أن معنى هذه الجملة أليق بأن يكون من كلام يوسف " عليه السلام " لأن من شأنه أن يصدر عن قلب مليء بالمعرفة . وعلى هذا الوجه يكون ضمير الغيبة في قوله (لم أخنه) عائداً إلى معلوم من مقام القضية وهو العزيز أي لم أخن سيدي في حرمة حال مغيبه .

ويكون معنى (وما أبرئ نفسي) الخ . . مثل ما تقدم قصد به التواضع أي لست أقول هذا ادعاءً بأن نفسي بريئة من ارتكاب الذنوب إلا مدة رحمة الله النفس بتوفيقيها لأكف عن السوء أي أنني لم أفعل ما اتهمت به وأنا لست بمعصوم .

(وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين [54] [قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم [55]) السين والتاء في (أستخلصه) للمبالغة . مثلها في استجاب واستأجر . والمعنى أجعله خالصاً لنفسي أي خاصاً بي لا يشاركني فيه أحد وهذا كناية عن شدة اتصاله به والعمل معه . وقد دل الملك على استحقاق يوسف " عليه السلام " تقريبه منه ما ظهر من حكمته وعلمه . وصبره على تحمل المشاق وحسن خلقه . ونزاهته فكل ذلك أوجب اصطفاؤه .

وجملة (فلما كلمه) مفرعة على جملة محذوفة دل عليها (وقال الملك ائتوني به) . والتقدير : فأتوه به أي يوسف " عليه السلام " فحضر لديه وكلمه فلما كلمه . والضمير المنصوب في (كلمة) عائد إلى الملك فالمكلم هو يوسف " عليه السلام " كلم الملك كلاماً أعجب الملك بما فيه من حكمة وأدب . ولذلك فجملة (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) جواب (لما) . والقائل هو الملك لا محالة .

والمكين : صفة مشبهة من مكن " بضم الكاف " إذا صار ذا مكانة وهي المرتبة العظيمة وهي مشتقة من المكان